ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X
مجلة أبعاد
مجلد 09، العدد 02، 2022

التقنية وظاهرة العنف الأسري في المجتمع الجزائري

-قراءة سوسيو أنثروبولوجية لمخاطر التقنية والبدائل الدينية الممكنة-

Technology and the phenomenon of domestic violence in Algerian society

-Socio anthropological reading of the dangers of technology and possible religious alternatives-

كرمين نصيرة *
kerminez@outlook.fr
جامعة عين تموشنت- الجزائر

****

تاريخ الإرسال: 2021/05/21	تاريخ القبول: 2022/04/05	تاريخ النشر: 2022/12/31

ملخص: تهدف هذه الدراسة إلى إظهار مخاطر التقنية داخل الأسرة من خلال التأثير على أفرادها بجذب انتباههم بالصوت والصورة، وتمرير عدة رسائل غالبا ما تلقى قبولا لدى المشاهد خاصة الأطفال الذين يتعرضون لها بانتظام. وما أصبح يبث حاليا في القنوات الخاصة بهم وأيضا في ألعاب الفيديو من برامج تقوم أساسا على الحركة والصوت والسرعة وممارسة العنف بأشكاله المختلفة، كدلالة على القوة والسيطرة، إلى جانب استهداف بعض القيم والمبادئ الأصيلة والتشهير بقيم دخيلة وتصويرها على أنها تتوافق مع الفوز والانتصار لترسيخها في أطفالنا. ما يدعو بإلحاح واستعجال إلى إعادة النظر الشامل في أنساق القيم التي توجه السلوكات داخل الأسرة وفي المجتمع، من خلال الدور الوظيفي الذي يقوم به الدين في تماسك البناء الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: العنف؛ العنف الأسري؛ التقنية المرئية؛ الأسرة الجزائرية؛ القيم الدينية.

Abstract: this study aims to show the risks of technology represented in spreading violence within the family by influencing its members by attracting their attention by sound and image, and passing several messages that are often accepted by the viewer, especially children who are exposed to it regularly. What is now being broadcast on their own channels and also in video games of programs based mainly on movement, sound, speed and the practice of violence in its various forms, , as an indication of power and control, in addition to targeting some original values and principles and defamation of extraneous.

* المؤلف المرسل: kerminez@outlook.fr

What urgently calls for a comprehensive review of the value systems that guide behaviors within the family and in society, through the functional role that religion plays in the cohesion of the social structure.

Keywords: Audiovisual technology influence ; the family; the Algerian family; domestic violence; religions, religions values.

1. مقدمة:

يعتبر العنف ظاهرة قديمة قدم البشرية. إذ ارتبطت جذوره بمختلف الأزمنة والأمكنة، حيث أن تاريخ المجتمع الإنساني مليء بالأحداث المشبعة بالعنف بشتى أشكاله وأنواعه، إضافة إلى ما تحمله الخرافات والأساطير من دلالات العنف والجريمة، هذا الذي يدل على ارتباط العنف بالوجود الإنساني منذ الحقب القديمة. والعنف واحد من الظواهر الاجتماعية البارزة في المجتمع الجزائري. هذه الظاهرة التي تشهد اليوم انتشارا واسعا بشدة نتيجة لسياقات وظروف اجتماعية معينة، سمحت بحضورها الاعتيادي وسط مفاصل المجتمع، إذ تتمظهر مظاهرها في ممارساتنا اليومية من خلال أدوارنا وتفاعلاتنا المختلفة مع الأفراد والجماعات ضمن ما يعرف بالتفاعل الاجتماعي، يحدث هذا في ظل جملة تحولات وتغيرات مرّ بها المجتمع الجزائري عبر مراحله التاريخية. هذه التحولات التي رافقت ارتباط الأفراد وتعوّدهم على استخدام التكنولوجيا، وبروز التقنية ضمن ضروريات الفرد اليومية، خاصة منها السمعية المرئية كا: التلفاز والأنترنيت وألعاب الفيديو وغيرها. هذه الأخيرة ولّدت بدورها نوعا من الضغط على استقرار الفرد ومنه استقرار المجتمع. ضغط أصبح موجودا بشكل واضح داخل الأسرة، والذي يظهر في أشكال مختلفة ضمن صور العنف، والتي أصبحت تقوم بوظائفها بصيغ عنيفة. كالعداء والكراهية والتهميش والنزاعات والحرمان والصراخ واللامبالاة واقصاء الآخر وغيرها من الممارسات والسلوكات المشحونة بالعنف. كل هذا حدث بالموازاة مع ابتعاد الأسرة عن اتباع القيم الاجتماعية المتوافق عليها خاصة منها القيم الدينية التي تضبط سلوكات الأفراد وتدعو إلى السلم والاحترام والتعاون والتضامن بين أفراد الأسرة وأيضا في المجتمع. وعليه نطرح السؤال التالي: كيف ساهمت التقنية في انتشار العنف الأسري في المجتمع الجزائري؟ وماهي الرؤية السوسيو-الأنثروبولوجية للدور الوظيفي الذي يلعبه الدين في التصدي لهذه الظاهرة؟

1- مدخل في تحديد المفاهيم

1-1-العنف:

يحدد العنف اصطلاحا في أنه «الإيذاء باليد أو باللسان، بالفعل أو بالكلمة، في الحقل التصادمي مع الآخر» [1]. فالعنف هو سلوك إيذائي يقوم على «إنكار الآخر كقيمة مماثلة للأنا أو للنحن، كقيمة تستحق الحياة والاحترام ومركزه استبعاد الآخر عن حلبة التغالب إما بخفضه إلى تابع، وإما بنفيه خارج الساحة (إخراجه من اللعبة) وإما تصفيته معنويا أو جسديا» [2]

بمعنى أن الإنسان عندما يكون في حالة التفاهم والحوار يكون في غنى عن العنف ومظاهره.

فحسب "خليل أحمد خليل" يعرف العنف على أنه: «سلوك متبادل بدأه الفاعل ويواجهه القابل مواجهة القابل للحدث العنفي تستلزم مقاومته، فتعني استئناف العنف المبتدأ بعنف مختلف» [3]. وبهذا فالعنف هو: «فعل إرادة تستقوي به الذات لقهر الآخر، ويلتجئ إليها الآخر لدحر الفاعل (في هذه الحالة نجد فاعلين للعنف المتبادل)، فيولد نوع من التوازن العنفي (الاحتلال ومقاومته مثلا)» [4].

كما يعرف العنف على أنه: «التعبير المادي للتعارض والخلاف والاختلاف الذي يوّلد الصراع والتنازع وليس التعاون والتفاهم والحوار» [5]

أما بالنسبة للعنف الأسري يعرفه " غدنز" "Giddens"على أنه: «الإيذاء الجسدي الذي يمارسه أحد أعضاء العائلة على فرد أو أفراد آخرين فيها» [6]

ويقسم "غدنز" العنف إلى أنواع حسب الفئات الأكثر ممارسة عليهم من خلال الدراسات التي أنجزت حول العنف الأسري، فيجد فئة الأطفال هي أكثر الفئات المستهدفة، خاصة من تقل أعمارهم عن الستة سنوات. ثم تأتي فئة النساء اللاتي يعتبر ممارسة العنف

---

[1]-خليل أحمد خليل، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،1984، ص138.
[2]-المرجع نفسه، ص138.
[3]-المرجع نفسه، ص139.
[4]-المرجع نفسه، ص 139.
[5]- إبراهيم الحيدري، سوسيولوجيا العنف والإرهاب، دار الساقي، المغرب، ط1، 2015، ص12
[6]- أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصّيّاغ، المنظمة العربية للترجمة، مؤسسة ترجمان، بيروت، ط4، 2001، ص267.

عليهن من قبل أزواجهن وأقاربهن الذكور الأكثر شيوعا في العائلات. كما أنّ هناك نوع آخر من العنف الجسدي والذي تمارسه المرأة على الأطفال والأزواج على حد سواء.

إذن، العنف في هذه الحالة هو واقعة اجتماعية، تاريخيّة ينتجها الفاعل الفردي (المتسلط الأنوي)، مثلما ينتجها الفاعل الجمعي (المتسلط الجمعي) في سياق التصارع على الامتلاك الأنوي أو الجمعي للآخرين.

1-2-التقنية: عرّف "أندريه سيجفريد" " André siegfried"التقنية بأنها: " مجموعة من الإجراءات القائمة على العقل، ولكنها اختيرت بالممارسة، وأصبحت تشكل الملكية الجماعية للحضارة، نستعمل من خلالها-وبفعالية-مجموعة من الأدوات بغية بلوغ الهدف المرجو"[1]

ويشتق المصطلح " technique" من الكلمة اليونانية "تكني" (tekhne)، التي كانت في البداية مرادفا للفن. ويقصد بها مهارة تقليدية مرتكزة على تجربة شيه مقننة ومنتقلة من جيل إلى آخر" [2]

1-3-الدين: حسب التعريف الكلاسيكي الذي قدمه "دوركايم" " Durkheim"هو: "نظاما متضامنا من المعتقدات والممارسات المرتبطة بالأشياء المقدسة أي المنفصلة والمحرّمة، وهي معتقدات وممارسات توحّد ضمن تجمّع أخلاقي واحد اسمه الكنيسة كلّ من ينضمون إليها"[3]

وهذا ما جعل علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا يهتمون بدراسة الظواهر الدينية بين المجتمعات.

2-التقنية وتكون العنف الأسري في المجتمع الجزائري

2-1- تاريخ العنف في الأسرة الجزائرية

عرف المجتمع الجزائري ظاهرة العنف في مراحل عدة مر بها من احتلالات مختلفة إلى غاية الاحتلال الفرنسي في القرن التاسع عشر، مرورا بالاحتلال الروماني والبيزنطي والفتح الإسلامي والتواجد العثماني والإسباني، وهي سلسلة من جملة الاحتلالات جعلت

---

[1]-جيل فريول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، ترجمة أنسام محمد الأسعد، دار ومكتبة الهلال، ط1، بيروت، 2011، 169.

[2]-المرجع نفسه، ص 169.

[3]-اميل دوركايم، الأشكال الأولية للحياة الدينية، ترجمة رندة بعث، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2019، ص65.

من ذات الفرد الجزائري ذاتا مشبعة بالعنف بما أنها تكوّنت في تاريخ يتميز بقوة التعنيف، وهذا ما أشار إليه "فرانز فانون" " Frantz Fanon ": «المستعمَر الذي ترسبت في عضلاته روح الهجوم والعدوان هذه، إنما طبقها يطبقها أولا على ذويه»[1]

فانتشار العنف والاضطهاد أدى بالجزائري المستعمَر إلى «التحرر من العنف وبالعنف»[2]. وعلى الخصوص ما حدث خلال مرحلة الاستعمار الفرنسي. مرحلة تركت آثارا واضحة على البنية الاجتماعية والذهنية الجزائرية القائمة على ردّات الفعل الانفعالية وتحطيم صورة الآخر المعنّف، وما زاد من شدة صور التعنيف هو حمولة العشرية السوداء التي جعلت الجزائريين في حالة فزع وخوف إثر انتشار موجة الجرائم والاغتيالات والذبح والاختطاف والاعتداء والانفجارات والاغتصابات في مختلف أماكن ربوع الوطن. عشرية خلفت وراءها ذكريات مأساوية حزينة في حاضر الجزائر، ساهمت في تغلغل الحقد والكراهية وحب الانتقام وتصفية الحسابات المتبادلة، وبهذا أصبحت الأسرة الجزائرية حاضنة للعنف ونموه. فقابلية أفرادها لممارسة وتصدير العنف بات واضحا من خلال الممارسات اليومية التي تتصف بمختلف أشكال العنف، سواء داخل الأسرة أو خارجها. إن العلاقات ذات البعد الواحد تحوّلت إلى التبادل الخاصة بحركة العنف من داخل الأسرة إلى خارجها ومن الخارج إلى داخل الأسرة. وهذا راجع إلى تلك الاستجابة والقابلية الكبيرة للعنف من طرف الأفراد الذين يكتسبونها بدورهم من البيئة والمحيط الاجتماعي وظروف العيش اليومي، إذ أن الأمر لم يقتصر فحسب على السلوك، وإنما أيضا شمل اللغة في الوقت الذي باتت فيه لغتنا التواصلية مشحونة بالعنف وقائمة على شروطه، وهي كلها تدل على القدر الكبير مما نملكه من مخزون ثقافي عنيف الذي نستعين به في أداء وظائفنا، في الوقت الذي نكون فيه بصدد فرض انضباط ما أو السيطرة أو حتى للدفاع عن النفس، والذي أصبحنا نستعمله خاصة في تربية أبنائنا.

وبما أنّ الأسرة هي نواة المجتمع ووحدة أساسية في بنائه، مما يجعل هذا الارتباط يشكل تلك العلاقة الطردية بينهما، كلما صلحت وزادت تماسكا، صلح المجتمع. كما تعتبر أول مؤسسة تنشئة اجتماعية يتلقى فيها الفرد مختلف المعايير والقيم الاجتماعية والثقافية،

[1]- فرانز فانون، معذبو الأرض، ترجمة علي كنز، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص18.
[2]- المرجع نفسه، ص53.

للاتصال والتواصل بالعالم الخارجي، لهذا لا يمكن الفصل بين العنف الذي يقع في جميع أنحاء العالم والعنف الواقع داخل الأسرة. خاصة وأن الأسرة المعاصرة باتت مرتبطة برباط وثيق بالعالم كله بفعل العولمة ووسائل الاتصال والتقنية. والتطور الكبير الذي شمل كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والتكنولوجية، التي ساهمت في تصدير الثقافات الكونية وقيم الشعوب الأخرى عبر وسائل الاتصال المرئية، التي جعلت من برامج العنف العالمية تصل إلى مختلف بقاع المعمورة، وبها أضحى العنف القاسم المشترك بين المجتمعات، يصدره المصدر نفسه وهو التقنية التي دخلت إلى حياتنا اليومية بشكل تدريجي، حتى أصبحت جزء لا يتجزأ من ضروريات العيش، لا تغيب عن تفاصيل يومياتنا، التي لا يمكن الاستغناء عنها، في الوقت الذي صرنا نراها واحدة من مكتسبات العصر، وما زاد من حدّة تعلقنا بها هو الانفتاح على العالم الذي دفع بالمجتمع الجزائري إلى التحوّل من مجتمع بسيط تقليدي يعتمد على الزراعة إلى مجتمع استهلاكي للتقنية باحثا عن العصرنة. وما يمنح مصداقية طرحنا هذا هو ما نلاحظه من العلاقة النوعية التي صارت تربطنا بالتقنية خاصة منها المرئية، وعليه نتساءل: إلى أي مدى تأثرت حياة الأسرة الجزائرية المعاصرة بالشاشات والفوتوغرافيا والهاتف والإعلانات وألعاب الفيديو والكليب الرقمي والإنترنت؟ وماهي التحديات التي تنتهجها في التصدي لسلبيات هذه التقنية؟

2-2-المحلي والتقنيات الحديثة

اهتمت الجزائر على غرار الدول العربية خلال نصف القرن الأخير، بالعمل على تحديث المجتمع بأقصى سرعة ممكنة وبأفضل الصيغ، والذي نتج عنه التحول الكبير الذي عرفته المناطق الحضرية، التي نمت بسرعة إلى جانب ظهور ظواهر اجتماعية جديدة، منها التغير الذي قلص من حجم الأسرة وظروف تأسيسها وحصر أدوارها الاجتماعية. حيث أن طغيان المادة والروح الاستهلاكية للتقنية، أنتج ضغوطات جديدة في العلاقات بين أفرادها. وما حققته التقنية من السرعة والسهولة لقيام الفرد بشتى الأعمال والأدوار، دفعته في المقابل إلى التخلي عن القيم الدينية والأسرية التي أساسها التضامن والتعاون والاتحاد، والتحوّل نحو الفردية والمادية والنزعات الاستهلاكية. ما أدى إلى ضعف العلاقات الأسرية، وبالتالي عدم قيام الأسرة بدورها في ضبط العلاقات

الاجتماعية بين أفرادها وعدم تنشئتهم التنشئة السليمة، الذي ساهم في ظهور التمرد والانحرافات والآفات الاجتماعية، التي أدّت إلى نشوء العنف داخل الأسرة.

إن امتلاك الأسرة الجزائرية المعاصرة لعدد كبير من أجهزة الاعلام والاتصال الرقمية، المواكب لتضاعف الشاشات في كل مكان في البيت بدءا ب:"بالحاسب الآلي والشخصي ومرورا بالمحمول وآلة التصوير الرقمي وانتهاء بالأنترنت ونظام تحديد المواقع العالمي..."[1] جعلها تعيش حالة طوارئ مستمرة، نتيجة للتقيّد بهذه التقنية، التي صنفت من الضروريات الواجب عدم الاستغناء عنها، لمواكبة العصر رغم معرفة نتائجها السلبية الموازية لإيجابياتها. هذه التناقضات والتغيرات والمستجدات خلقت جوّا مكهربا تعيش فيه الأسر عامة في العالم، ومن بينهم الأسرة الجزائرية، التي باتت التقنية تتحكم فيها بالتأثير البليغ على مختلف أفراد الأسرة، كما أضحت مصدرا مباشرا لنشر العنف، خاصة عندما أصبح الفرد الجزائري يمتلك عدد كبير من أجهزة التلفاز واتصالها بالفضائيات وشبكة الانترنت واقتنائه غير المحدود لألعاب الفيديو لأبنائه، التي تتميز بهيمنة برامج العنف عليها. التي لاقت اعجاب المتفرجين الذين أصبحوا مولعين بمشاهدة هذه البرامج. وهذا ما يؤكده «نظام تصنيف البرامج الذي يراقب بصورة عالية ما تقدمه شاشة التلفزيون (...)أنّ الجمهور يفضل بانتظام اختيار البرامج العنيفة على البدائل الأكثر هدوء»[2]. والسبب في ذلك يعود إلى الإثارة والحركة التي يشعر بهما المشاهد إلى جانب احساسه بالمشاركة في الوقت الذي يستمتع فيه بالسلامة والأمن. فالأفراد يعيشون تلك اللحظات العنيفة من خلال محاكاتهم للشخصيات الرئيسية وأبطال البرامج في الواقع. والأسرة الجزائرية التي كانت في الماضي تقتني جهاز تلفزيون واحد من أجل التنفيس وجمع شمل الأسرة حول فيلم السهرة، ها هي اليوم تمتلك أجهزة رقمية بمختلف الأحجام والتقنيات، التي أضحت سلاحا فتاكا يهددها من مختلف الجوانب. إذ نجد هذه التقنية اليوم صارت إحدى العوامل التي تفرق بين أفراد الأسرة، الذين

---

[1]- جيل ليبوفيتسكي، جان سيرو، شاشة العالم – ثقافة-وسائل إعلام وسينما في عصر الحداثة الفائقة، تر راوية صادق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2012، ص9.

[2]- ماري وين، عبد الفتاح الصبحى، الأطفال والإدمان التلفزيوني، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1999، ص115

أصبحوا مختلفين في قيّمهم ومبادئهم، لا تجمعه قواسم تربوية مشتركة. فلكل فرد حاسوب خاص به. ناهيك عن اللوح الالكتروني والهاتف النقال، هذه التقنية قبل أن تصدّر العنف نحو الأسرة، عملت على تفرقتها أولا، وبسطت سيطرتها عليهم بخلق قيم الخصوصية. فكل فرد له أشياءه الخاصة التي لا يمكن أن يشاركه أحد فيها، التي لاقت القبول والاعتياد ونمت مع نمو الطفل على مبدأ التملك، ناهيك عن تصدير أفكار مضمّرة داخل برامج تعمّها البراءة ظاهرا، لكنّها مُعدّة جيدا لضرب استقرار الأسرة والتربية، والقضاء على سلامة المجتمع. إذ ساهمت هذه البرامج وألعاب الفيديو العنيفة في إصابة أبنائنا بالاضطراب النفسي. كما قامت باختزال قيّم المجتمع كالاحترام. والذي أدى انعدامه إلى سقوط الضوابط التي مهدت للانفلات، الذي يؤدي إلى ممارسة العنف بأشكاله المختلفة، ما دامت الروابط الأسرية أصبحت هشّة يسودها الإهمال ولا مبالاة والتمرد، والتي جعلت من الخطاب التواصلي في الأسرة عبارة عن مزيج من المعاني والرموز، مشحون بالضغوطات مضمّر بالنوايا السيئة، التي تتفجر في أي لحظة لتتحول إلى عنف ما أو ارتكاب جريمة.

إذن، أضحت التقنية تعمل لأجل القضاء على القيّم والمعايير بضربها بلا أخلاق، بدمج هذه الرسائل من خلال ممارسات للعنف، التي تمررها للمشاهد عن طريق تقديمها للعنف على أنه طريقة ووسيلة فاعلة لحل المشاكل الحياتية. وهذا ما أثبتته عدة دراسات حول تأثير العنف المعروض في التقنية على الأفراد، كالدراسة التي أجريت في الولايات المتحدة حسب "سيرجي"[1] والتي دامت عشرة أعوام ابتداء من سنة (1986) حول التلفزيون وآثاره على الأطفال، وكانت الدراسة تضم مراهقين تتراوح أعمارهم بين عشرة وأربعة عشرة سنة، وفي سنة (1995) توصل هذا البحث إلى أنّ التلفزيون لا يستغل إمكاناته في التربية، كما أنه يحفز على السلوك العدواني.

[1]-سيرجي قره، مورزا، التلاعب بالوعي، ترجمة عياد عيد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 2012، ص482.

3-جمالية العنف في التقنية المرئية

3-1-التقنية ومشاهد الموت

فالتقنية أصبحت عبارة عن نوع من المخدر الروحي، خاصة بارتباط الفرد بها، والتي استطاعت بفضل تأثيرها المنوّم أن تجعله مقيّد بها، مقابل تنازله جزئيا عن حرية إرادته وقيامه ببعض المهام أو الأنشطة وحتى واجباته كالطعام والدراسة وتربية الأبناء. فيقضي معظم أوقاته أمام شاشة التلفزيون أو في الانترنت. بسبب التنوع الهائل في القنوات والبرامج والمواقع، التي لا يستطيع الفرد حتى الاختيار فيما بينها، خاصة مع ما أصبحت تمارسه هذه التقنية المرئية في العقدين الأخيرين من دعاية لفن التشخيص، هذا الفن الذي يعدّ جديدا، وهو «عرض مسرحي من غير سيناريو محكم، ويجمع بين الفن البصري والارتجال المسرحي تعود جذوره إلى المذهب المستقبلي، وأحيانا يسمونه "الهيبينية" أو "البودي آرت" (فن الجسد) أو الفن الخيالي، إحدى أفكار هذا الفن الرئيسية هي تحديدا تدمير المعايير الأخلاقية والجمالية وإزالة المحرّمات (التابويات). فيتفق مخرجو البرامج والأفلام أن طريقة جذب المشاهدين هي التوجه نحو «الغرائز والرغبات الخفيّة والمكبوتة وغير السليمة التي تعشش في اللاوعي» [1] . هذا ما يبرر ما يعرض في المواقع الالكترونية، وأيضا ما نشاهده في ألعاب الفيديو والتلفزيون من برامج محظور مشاهدتها في ثقافتنا المحلية، والتي ازداد نموها مؤخرا وأصبحت ممنهجة أكثر يتكرر فيها عرض مشاهد الموت، والذي يفسر حسب اختصاصيو الدعاية أتباع المدرسة الفرويدية على أنه اشباع «عقدة تاناتوس» التي تثير انتباه المشاهد واهتمامه أكثر من أي شيء آخر. فهم بذلك يدّعون أنهم بعرضهم المتكرر لمشاهد العنف يصرفون الانتباه عن العنف الحقيقي، الذي يجعل المشاهد يشعر بأنّ الحياة في الواقع أفضل مما هي عليه في الشاشات، إذ يرون أنّ ثقافة العنف تتكون لتحل محل العنف الحقيقي أي ما يسمى فرضية التنفيس. عكس علم النفس الذي يؤكد على أن ثقافة العنف لا تحل محل العنف الحقيقي بل تشرعنه. إذ أنه هناك من المجرمين الذين أكدوا أنّ برامج العنف التي شاهدوها كانت لهم مصدرا محفزا للقيام بالجريمة، كما أعطتهم طريقة ممارسة العنف والأداة المستخدمة فيه، فهناك من يرتكب الجرائم تقليدا لأبطال الأفلام

[1]-المرجع السابق، ص483.

التلفزيونية، منهم من يكتسب من برامج العنف «تقنية الجريمة». فالتعّلم بالملاحظة الذي توفره التقنية المرئية، يجعل من المُشاهد لبرامج العنف متعلما لطرق جديدة لإيذاء الآخرين كان يجهلها من قبل. لذلك يعّد حب الشهرة والقيام بمحاكاة البطل المحرّض الأول لممارسة العنف على الآخرين. كما أنّ المشاهدة الدائمة لبرامج القوة والعنف يؤدي إلى ضعف الضوابط المانعة لقيام العنف عند الشخص، مما يجعله أقل إحساسا لما ينتج عن العنف من مأساة ومعاناة، والتي تجعله أكثر استعدادا لممارسة العنف على الآخرين دون الإحساس بالألم أو تأنيب الضمير. كبرامج التحقيقات في قضايا الجرائم واختطاف الأطفال التي تقوم بسرد كل حيثيات الجريمة، التي تؤسس لجريمة أخرى من خلال إعادة انتاجها. لذلك فالتقنية المرئية تغذي الأسرة بالعنف بصفة منظمة، الذي يمارس تأثيرا أكبر من الواقع. ويرى "إريك فروم" أن المراد من عرض العنف هو محاولة لتعويض الملل المخيف الذي يستحوذ على الفرد المحروم من العلاقات الإنسانية الطبيعية. فالمشاهد ينجذب بالاستمتاع السلبي إلى صورة الجريمة والكوارث والمشاهد الدموية القاسية، مما يجعله قريب جدا من ممارسة العنف. وبهذا تتحول التقنية المرئية إلى مولد للعنف الذي يخرج من الشاشة إلى الحياة.

2-3- العنف والمؤثرات الصوتية والضوئية

أصبحت التقنية المرئية مسرحا لمشاهد العنف، التي ضاعفت الإمكانيات من سرعته بعرض صوره عرضا مغريا، معتمدة في ذلك على مؤثرات ضوئية وصوتية تشد المشاهد بشكل كبير وفعال، كأفلام الحركة التي تتحول فيها الأجساد، ويمتلك فيها الأبطال أجسام خارقة، والتي تتحول إلى آلات. وأيضا قتال الوحوش، التي تتطلب التركيز العالي على البرنامج، الذي يجعل المتلقي يستقبل كل شيء منه.

إذ تمت معالجة العنف منذ زمن كموضوع مدمج في دلالات مختلفة «كالمراهقة في حالة تمرد، العصابات والمافيا، الصراعات الاجتماعية، الأدغال»[1] وغيرها من الدلالات التي تصور العنف عن قرب بالتصوير البطيء ثم السريع لجعل اللقطات مؤثرة أكثر.

بهذا لم يعد العنف مجرّد موضوع في التقنية المرئية الراهنة، بل أسلوبا و"جمالية" خالصة للفيلم أو البرنامج أو اللعبة، إذ أصبح العنف يشكل جزءا من جوهر الموضوع نفسه، ويظهر في كل مرة في طريقة جديدة لعرضه وما زاد من شدته هو تصويره في

[1]-جيل ليبوفيتسكي، مرجع سابق، ص93.

لقطات مقربة، التي تزيد من تأثيره البصري والانفعالي إلى جانب المؤثرات الضوئية والصوتية، هذا التأثير الذي يستطيع غرس العدوانية في نفوس اللاعبين والمتفرجين وممارسة العنف اقتداءً بالبطل. فالمبالغة التي تقوم بها التقنية في عرض العنف، تتم من خلال الصورة المرافقة للإيقاع الموسيقي الصاخب، الذي يندمج مع الصورة ليشكل مشهدا مؤثرا في المُشاهد الذي يبحث عن الاشباع، كالعنف الذي تمهد له ألعاب الأطفال الإلكترونية القائمة على التدمير، كألعاب القوة والعنف والقتال وغيرها من ألعاب البقاء، التي تعلم الأطفال حيل القتل وتنمي فيه حس الجريمة وتزرع قيم حب النفس والأنانية.

فالانغماس في الذات بتوهم البطولة، ينمي شعور العداء، ويجعل اللاعب يمارس العنف على من حوله من أشخاص وأولهم أفراد الأسرة. فالتقنية المختلفة التي أصبحت في متناول الجميع من هواتف ذكية وحواسيب وألواح الكترونية أضحت تغذي الأسرة بمظاهر مختلفة للعنف، وضاعفت الإمكانيات التقنية من سرعته، التي زادت من حدّته داخل الأسرة، التي تحوّلت من مصدر الأمن إلى مصدر ممارسة العنف، وأصبح خطر العنف يهدّد الأفراد داخل البيت أكثر من خارجه.

فتفاقم بذرة العنف داخل الأسرة الجزائرية، الذي لم يعد مجرد أحد الموضوعات فحسب، بل أسلوب حياة. وهو عنف موجه نحو الزوج أو أحد الأصول، الذي يتميز بنمو سرطاني مغرق في المبالغة، جعل الأسرة تملؤها الانفعالات والتوترات والصدمات.

4-أثر الدين في التصدي لمخاطر التقنية

4-1-أهمية القيم الدينية في حياة الفرد:

نظرا للأدوار الكبرى للوظيفة التي يشغلها الدين في الحياة البشرية في تنظيمه للكون وصناعته للعلاقات البينية بين الذوات، وتقييمه للعلاقة التي تربط الإنسان بالمحيط الذي ينتمي إليه (البيئة)، محضنا للعواطف والآمال التي يستند عليها الإنسان في وجوده الروحي والمادي. يطرح الدين كقاعدة أساسية للإنسان ككائن ميتافيزيقي، وبالتالي يصير الدين بالنسبة له شرطية أنطولوجية عامة يصعب تجاوزها أو تجاهلها.

من هذا الطرح، ينطلق دوركايم في تعريفه للدين كونه يشكل جزءا من كيان غير قابل للتجزئة، في حين أنه كلّ مشكّل من أجزاء، إنه نسق معقّد إلى هذا الحدّ أو ذاك من الأساطير والعقائد والاحتفالات. والحال أنه لا يمكن تعريف الكل إلا بالصلة مع الأجواء

التي تشكّله" [1]

فمن رؤية دوركايم هذه يظهر الدين كوعاء وثقافة كاملة متكاملة الأجزاء لمجتمع ما ليس من خلال مجموعة النصوص والتعاليم والقيم فحسب، بل أيضا بالمعتقدات والتصورات التي تجسدت اجتماعيا وترسخت في الحياة البشرية بالممارسة في أشكال من أنماط وتقاليد وأفعال. ناقش المفكرون والفلاسفة في العصر الحديث أسئلة الدين الكبرى وأهميتها بالنسبة للعلوم الجديدة، وموقعها بالنسبة للتحولات الاجتماعية بفعل المتغيرات الجديدة التي طرأت على المجتمعات الحديثة، نتيجة تطور العلوم والاقتصاد والتجارة والإصلاحات السياسية وتوسع نطاق المدنية، خاصة بعد إصلاحات "كالفن" و"مارتن " الشهيرة، وقد نتج عن هذه النقاشات سجال خلافي كبير حول المسألة الدينية، انتهت بربط الحداثة بالمتغير الديني في ألمانيا من جهة واقصاء الدين من الحداثة في المجتمع الفرنسي من جهة أخرى، وبين الإدماج الديني وإقصائه من الحداثة كل قدم براهينه ومواقفه، والنتيجة العامة هنا، هي تأكيد مدى أهمية الدين بشكل عام في صناعة التغيير والتحول وتقوية الروابط المعنوية والروحية للإنسان، كما أنه يدخل في صلب التنوير كما أشار كل من الفيلسوف الألماني "ليسينج" " Lessing"و الفيلسوف الدنيماركي "كيركجارد""Kierkegaard "، وهي الأسئلة ذاتها أعيد طرحها بقوة في منتصف القرن العشرين في المعاهد الكاثوليكية تحت ضغط الدمار الإنساني الذي ميّز حقب من حروب عالمية عنيفة وتلاشي القيم الأخلاقية والاجتماعية بشكل كبير أو ما يعرف في الأدبيات الغربية بالعدمية.

استشعر المفكرون في بداية القرن العشرين خطورة الوضع ولما ستؤول إليه أحوال البشرية مستقبلا في ظل تقلص دوائر حضور الدين في الحياة العامة، في مقابل غلو التقنية واعتمادها كأداة رئيسة في حياتنا، والتي ستنتهي حتما إلى تحول الإنسان إلى أداة للأداة أو للوسيلة، وبينما كان فاعلا سيكون مفعولا به، وهذا ما وقف عنده "هيدغر" "Heidegger"و"ماركس" " Marx"و"ماركيز" " Marcuse"، الذين أجمعوا على خطورة تباعية الإنسان للتقنية، والتي بفعلها سيغدو شيئا أو ما يعرف بشيئية الإنسان، مثل نظرية التشيؤ عند آخر فلاسفة مدرسة فرانكفورت" أكسيل هونت" " Axel

[1]-اميل دوركايم، مصدر سابق، ص59.

."Honneth

وخلاصة الطرح، تأتي أهمية الدين كمتلازمة للإنسان كونه يتميز بصفة الشمول لجميع نواحي الحياة الإنسانية الفردية والاجتماعية، لأنه جزء لا يتجزأ منها، ولا يمكن فصله عن الحياة الاجتماعية للأفراد وممارساتهم اليومية.

2-4-ضرورة قيم الديانة الإسلامية في ترسيخ ثقافة السلم والوحدة الاجتماعية

تعتبر الديانة الإسلامية بتراثها الضخم وبجملة القيم الشاملة مرجعا مؤطرا للحياة البشرية باختلاف المراجع الثقافية والاجتماعية والتصورات العامة المنظمة للحياة، وتعود نجاحاتها الأولى في توحيد الملل والنحل والقبائل العربية التي كانت ممزقة الأوصال والاتجاهات، جاعلة من الفرد لبنة صغرى ومن الأسرة لبنة كبرى تحت غطاء المجتمع، وقد أتت قدرتها على تفعيل الأدوار الاجتماعية للأفراد من خلال إقرار المكانة الطبيعية لكل فرد وتثبيت حقوقهم وواجباتهم الممكنة كالتي بينتها حول حقوق الطفل والمرأة واليتيم والمريض والمسافر وغيرها والتذكير بالعواقب والمآلات التي تؤول إليها الأوضاع من تفكك وتمزق وعنف في حالة تخلي عن هذه الأدوار، وهنا نلمس بقوة نتائج التفاعل الديني في بعده الإجرائي والتطبيقي زيادة عن النظري في حياتنا اليومية.

الإسلام هو دين القيم العليا يهدف الى بناء مجتمع سام وسليم من خلال تزويد أفراده بالأخلاق النبيلة وغرس القيم السامية، هذه القيم التي تنبثق من أحكامه الخلقية التي تنظم علاقة الإنسان مع نفسه ومع الآخر من خلال منظومة قيمية استمدت وجودها من الحياة الاجتماعية التي نشأ فيها الإسلام عبر مراحل تاريخية طويلة.

فالإسلام من خلال شموليته لكافة النواحي الاجتماعية صار أسلوب حياة والطريقة الصحيحة للعيش والتعايش مع الآخر. وهذا ما يؤكده "ماكس فيبر " "Max Weber" عند معالجته للدين الإسلامي عندما صرح قائلا بأنه دين على صلة وثيقة بالسلوك اليومي للأفراد[1]

وتحت ضغط المنعطفات الكبرى التي شهدتها البشرية المعاصرة بفعل الحملات الاستعمارية والحروب الداخلية وظهور قوى تنافسية جديدة غيرت المجرى الدولي العام،

[1] -Max Weber, The sociologie of religion, London social science paperbacks, Methuen and Co,1966.

وغزو التقنية لجميع مناحي الحياة العامة والخاصة للفرد في مقابل تقلص الاعتماد القوى البيولوجية الحيوية وضيق دائرة المجال المعنوي والروحي، كانت المجتمعات العربية بما فيها مجتمعنا الجزائري في طليعة المجتمعات التي تأثرت مباشرة بهذه التحولات لأسباب عديدة، ولعل أبرزها موقعها الجغرافي الذي يقع في مركز العالم القديم كمحور دوران للقارات الثلاث، أوروبا وآسيا وإفريقيا، جعل منها محور عابر للسلع والثقافات وساحات مباشرة وغير مباشرة للحروب وتطاحن القوى الكبرى، والتي بفعلها فقدت كثير من مكتسباتها التراثية وإرثها الحضاري بما فيها ميراثها الديني الذي صار اليوم تحت المحك.

إذ بقي الدين في مجتمعاتنا الدرع المتين للاختراقات الثقافية المنافية للتوجهات المحلية التي تخصنا نحن العرب بما يحتويه من قيم ثابتة وصلبة. فالقيم الدينية ضرورية للفرد والمجتمع لمساهمتها في ضبط سلوكات الأفراد وفرض الرقابة عليهم خاصة مع مواكبة المجتمع الجزائري للتغيرات التكنولوجية الجديدة، أصبحت الحاجة لها ملحة للحفاظ على الهوية الثقافية والحضارية. وتتم عملية ترسيخ القيم السامية عبر الممارسات اليومية الدائمة للأفراد مع مراعاة الاعتماد على منهج الإقناع لينشأ الطفل قادرا على النظر في الإيجابيات والسلبيات لأي سلوك أو عمل يقوم به، وتحمل مسؤولية العواقب والنتائج.

وأيضا توفير المحبة والوئام والاستقرار بين افراد الأسرة وتعزيز ثقافة السلم والحوار في حل الصراعات والنزاعات.

فقيمة السلم والسلام هي أحد هذه القيم السامية وإحدى دعائم ومرتكزات الأسرة والوسيلة التي تحقق الألفة والمودة والرحمة بين أفرادها.

5. تحليل النتائج

تعتبر الأسرة المؤسسة الأولى للتنشئة الاجتماعية في المجتمع، والمكان الذي يوفر الأمن والسلم لأفراده، إلا أنه مع التطور التكنولوجي الذي عرفته خلال السنوات الأخيرة جعلها تعيش في صراع كبير بين إيجابياته وسلبياته منها التقنية المرئية، التي ساهمت في تعزيز العنف داخل الأسرة والعمل على إعادة إنتاجه من جديد. كما قامت بنشر مشاعر الكره والعداء بين أفرادها.

وللتصدي لهذه المخاطر التي ستؤدي لا محالة للقضاء على هوية الاسرة الجزائرية يظهر جلياّ الدور الكبير الذي يلعبه الدين الإسلامي من خلال قيمه السامية التي تدعو للاتحاد والتضامن والتماسك والاحترام، فهي قيم تزود الإنسان بالطاقات الفاعلة في الحياة وتبعده عن السلبية. ومن مسؤولية الأسرة مراقبة سلوكات أبناءها والانتباه لهم وتلقينهم للقيم الأصيلة ومكارم الأخلاق ونهيهم عن المنكر وتعويدهم على ممارسة الطقوس الدينية الإسلامية كالصلاة والصوم منذ الطفولة.

إضافة إلى بث في نفوسهم أهمية الوقت وعدم اضاعته سدى بكيفية تنظيمه، وملء أوقات الفراغ بمراجعة الدروس والمطالعة أو ممارسة الرياضة التي تعتبر متنفسا لإخراج الطاقة الزائدة وأيضا اشراكهم في العمل المنزلي كالتنظيف والطبخ لتعزيز أدوارهم في الأسرة، وتعويدهم على المشاركة في الاحتفالات سواء أكانت وطنية أو الدينية كالاحتفال بالمولد النبوي وعيد الأضحى وعيد الفطر وغيرها من المناسبات التي تزيد من الألفة والمحبة والتماسك بين الأشخاص.

نلاحظ من خلال ما سبق ما تتسبب فيه التقنية من مخاطر تؤثر على المجتمع، أهمها مساهمتها في نشر العنف الأسري الذي ينجرّ عنه نتائج وخيمة تعود بالسلب على أفراد الأسرة كافة أكثرهم الأطفال. بتحفيزهم على ممارسة العنف والاعتياد عليه بسبب المشاهدة الدائمة لبرامج القوة والعنف ومحاكاة الأبطال. لكن بالرجوع إلى قيمنا الإسلامية وتمسكنا بها سيجد الآباء البدائل الدينية التي تدعو إلى السلم وتنهى عن العنف بأشكاله.

خاتمة:

تعتبر الأسرة المكان الآمن الذي يوفر الحماية والسلامة والدفء لأفراده، ومؤسسة لتنشئة الأجيال، لكن مع التغيرات والتحولات التكنولوجيا الكبرى في العالم بصفة عامة، والمجتمع الجزائري بصفة خاصة. أضحت مكانا غير آمن نتيجة للتقنيات المرئية التي اصبحت تعتبرها من الضروريات والتي هي في الواقع مصدرا رئيسيا لنشر العنف ولا أمن داخلها، والتي ولّدت ونمّت العنف بأشكاله وأنواعه وسط افراد الاسرة الواحدة. إذ أضحى العديد من الآباء يعتمدها في تسيير أموره اليومية، منها تسلية أطفاله أو كأداة لإلهائهم. هذا الذي جعل من التقنية المرئية والسمعية طرفا فعالا في عملية تنشئة الأطفال، إذ أصبح الطفل يقضي جلّ وقته بقربها، مقارنة مع الوقت الضيّق الذي

يحظى به بين أحضان أسرته. هذه التقنية التي ساهمت في زيادة عزلة الأفراد داخل البيت الواحد. ونمت حب النفس والأنانية في الطفل إضافة إلى تأثيرها على صحته النفسية والعقلية، بخلقها لنموذج موحد يجمع جيلا كاملا له سلوكاته ولغته الخاصة، ينفر من السلم والأمان متعطشا لممارسة العنف بأشكاله، لا يمكن للمجتمع ضبطه أو ردعه. إلا إذا تكاتفت الجهود بالعودة إلى التمسك بالقيم الإسلامية، والاستخدام الجيد للتقنية فيما هو إيجابي ونافع للفرد والمجتمع.

فالدور الوظيفي الذي يقوم به الدين لمواجهته الآثار السلبية التي تخلفها التقنية يستطيع ضبط هذه الاختلالات من خلال أبعاده الاجتماعية والثقافية التي يرمي إليها وسط المجتمع بصفة عامة والأسرة بصفة خاصة هذه الأبعاد التي تتمثل في السلم والتضامن والتآزر والاحترام.

وكنتيجة لدراستنا هذه نجمل بعض الوصايا في النقاط التالية:

-تقوية الروابط الاجتماعية بين الفرد والعائلة والمجتمع.

-تعزيز ثقافة السلم والحوار في الأوساط الاجتماعية.

-تفعيل القيم الدينية تفعيلا سليما وصحيحا بما يضمن ويصون الفرد والمجتمع من الانزلاقات.

-ضرورة توظيف التقنية المعاصرة توظيفا عقلانيا لما يخدم الفرد بشكل عام.

-تكريس مؤسسات خاصة بالتنشئة السليمة للأفراد.

-فتح فضاءات للترفيه والإبداع لشتى شرائح المجتمع.

-توسيع دوائر التعليم والتثقيف بما يتناسب والتحولات الحاصلة ولتطلعات شباب اليوم.

المراجع:

1. اميل دوركايم، الأشكال الأولية للحياة الدينية، ترجمة رندة بعث، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2019.

2. فرانز فانون، معذبو الأرض، ترجمة علي كنز، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

3. أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصيّاغ، المنظمة العربية للترجمة، مؤسسة ترجمان، بيروت، ط4، 2001

4. خليل أحمد خليل، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،1984.

5. جيل ليبوفيتسكي، جان سيرو، شاشة العالم – ثقافة-وسائل إعلام وسينما في عصر الحداثة الفائقة، تر راوية صادق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2012

6. سيرجي قره، مورزا، التلاعب بالوعي، ترجمة عياد عيد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 2012

7. ماري وين، عبد الفتاح الصبحى، الأطفال والإدمان التلفزيوني، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت . 1999

8. جيل فريول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، ترجمة أنسام محمد الأسعد، دار ومكتبة الهلال، ط1، بيروت، 2011.

9. إبراهيم الحيدري، سوسيولوجيا العنف والإرهاب، دار الساقي، المغرب، ط1، 2015.

10. Max Weber, The sociology of religion, London social science paperbacks, Methuen and Co,1966.